سلطة مغربية في غرب الجزائر

دراسة تاريخية ١٨٣٠ – ١٨٣٢

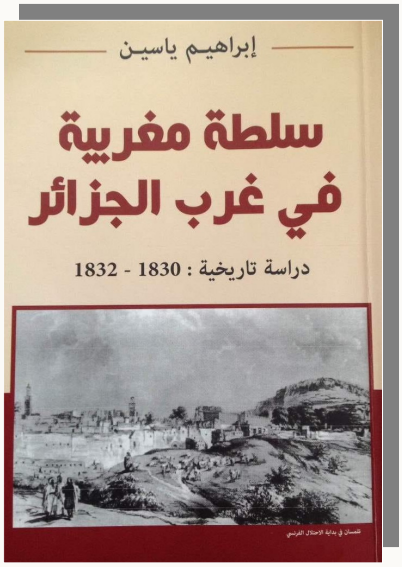

د. خالد جدي

دكتوراه التاريخ المعاصر

أستاذ الثانوي التأهيلي

مراكش – المملكة المغربية

بيانات الكتاب

المؤلف: إبراهيم ياسين
عدد الصفحات: ١٦٧ صفحة
الناشر: مطابع الرباط نت

الطبعة: الأولى.
سنة النشر: ٢٠١٥
مكان النشر: الرباط-المغرب.
الترقيم الدولي: 9789954357453

كلمات مفتاحية:

الإمبراطورية العثمانية؛ الاستعمار الفرنسي؛ تاريخ المغرب؛ تاريخ الجزائر؛ تاريخ العلاقات الدولية

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2022.299880

مُقدِّمَةُ

التاريخ هو دراسة ومعرفة الماضي، سواء كان بعيدًا أو قريبًا، التاريخ هو استكشاف يهدف إلى جعل الماضي مفهومًا في الوقت الحاضر. بناءً على اهتمامات عصره، ينظر المؤرخ إلى الماضي، ويفحصه، ويقدم المعلومات التي من المحتمل أن تنير معاصريه، تم يأسس الصلة بين الحاضر والماضي. في بداية أي مشروع تاريخي، تكون القصة تفسيرية وقائمة على الأدلة، وإعادة بناء واضحة للماضي كما جرى؛ ومن بين المواضيع التي يتناولها البحث التاريخي "العلاقات الدولية" من زوايا متعددة، والنهج السياسي هو الأقدم والأكثر رسوخًا في هذا مجال؛ ويعد تاريخ العلاقات الدولية[١] أحد مواضيع تدويل المجتمعات والمؤسسات والأفراد بأوسع المعاني. لقد حاولت الإسطوغرافيا المغربية بعد الاستقلال تناول التاريخ العلائقي من زوايا متعددة (العلاقات التجارية، العلاقات الثقافية وآليات نشر الإسلام في أفريقيا ثم العلاقات الصوفية والطرقية[٢]) في فترات متفرقة (وسيطية، حديثة ومعاصرة)؛ في هذه القراءة سنحاول بناء نموذج آخر، ربما مستوحى من نظرة جون لوي ميج Jean-Louis Miege حول العلاقات بين المغرب وأوربا في القرن التاسع عشر[٣]، محدثا حقلاً علميًا حقيقيًا في مجال الكتابة التاريخية المغربية[٤]، الذي سار وراءه العديد من الباحثين الشباب؛ وفي هذا السياق صدر عن منشورات مطابع نت سنة ٢٠١٥م كتاب "**سلطة مغربية في غرب الجزائر: دراسة تاريخية ١٨٣٠-١٨٣٢**، وأصل الكتاب رسالة جامعية بعنوان "**موقف الدولة المغربية من احتلال فرنسا للجزائر ما بين ١٨٣٠-**

١٨٤٧" ناقشها إبراهيم ياسين بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط تحت إشراف إبراهيم بوطالب بتاريخ ١٩ مارس١٩٨٧م، تفصل إذن ٢٨ سنة بين تاريخ مناقشة الرسالة وتاريخ نشرها للعموم، يتبادر للذهن للوهلة الأولى أن المرحلة التاريخية موضوع الكتاب كأنها أشبعت بحثا.. وهناك بعض الباحثين الذين تعمدوا إطلاق أحكام نهائية على هذه الفترة. وكتاب إبراهيم ياسين يعيد الاعتبار لهذه الفترة التاريخية مسائلا لها بلغة المؤرخ المتسلح بالوثائق المعاصرة، والقريبة للحدث، والتي حاولت الإجابة عن سؤال ماذا حدث من الزاوية التاريخية؟ بعيدًا عن التأويلات السياسية التي تحاول الذهاب بعلاقة البلدين إلى النفق المسدود.

جوانب من العلاقات المغربية – الجزائرية خلال القرن التاسع عشر

هيكلة الكتاب، ومحتوياته، منهجيته، إشكاليته الأساسية

الكتاب يتكون من الناحية التقنية من ١٦٧ صفحة من الحجم المتوسط موزعة على تقديم راهني أنجزه الباحث في مراكش ٢٠١٥، مدخل تاريخي، ثلاث فصول وخاتمة عامة، وبيبليوغرافيا متنوعة ومركبة من وثائق غير منشورة" في الخزانة الحسنية بالرباط، مديرية الوثائق الملكية، أرشيف المصلحة التاريخية للجيش البري الفرنسي بفانسان (Vincennes)، والأرشيف الدبلوماسي الفرنسي بنانت (Nantes) وأرشيف وزارة الخارجية بالكاي دور ساي بباريس (Quai d'Orsay)، مخطوطات مغربية، مراجع عربية وفرنسية."

في المدخل التاريخي، حدد إبراهيم ياسين السياق التاريخي للعلاقة بين الدولة المغربية والجزائر العثمانية، فمنذ التواجد العثماني في الحدود كانت محاولاتهم متكررة لإدخال المغرب الأقصى تحت وصاية الباب العالي، ومع ظهور العلويين، ولإضفاء المشروعية على حكمهم، بادر السلاطين العلويين الأوائل بالتحرش بالجزائر العثمانية، ومع السلطان المولى إسماعيل ستتوقف هذه الأطماع، حيث اتجه السلطان المذكور إلى ايجاد حل للتناقضات الداخلية التي تعيشها البلاد المتمثلة في إخماد تمردات القبائل، وتلى ذلك محاولة تحسين العلاقات الثنائية في عهد المولى محمد بن عبد الله ، ثم تجددت الصراعات والتوترات مع السلطانين المولى سليمان والمولى عبد الرحمان ابن هشام (ص. ١٥و١٦).

في الفصل الأول المعنون بـ **احتلال القوات الفرنسية لمدينة الجزائر**، تتبع إبراهيم ياسين في هذا الفصل قبضة الجزائر من طرف فرنسا من زاوية ردود الأفعال والمواقف المحلية والدولية وجاءت على الشكل الاتي:

في المغرب: لم يظهر الموقف المغربي أكثر وضوحا، بل سيطر عليه التشويش والازدواجية في اتخاذ الموقف اتجاه الغزو الفرنسي للجزائر ولفراغ السلطة المحلية، فقد تكون موقف أثناء فترة الحصار الفرنسي للجزائر، ويتجلى هذا الموقف في السلطان ومخزنه، حيث لم يتخذ السلطان موقفا ثابتا اتجاه الفرنسيين خلال حصارهم للجزائر، واكتفى بالحياد ومساعدة البحارة الجزائريين على بيع غنائم الفرنسيين في الأراضي المغربية، وأصدر السلطان كذلك أوامره من مراكش إلى عماله في طنجة، وتطوان، ووجدة لمراقبة الأسطول الفرنسي، المحاصر لوهران، وأن يبقى على استعداد كلما استدعت الضرورة لذلك، كما قام السلطان بتقديم تسهيلات للفرنسيين بشواطئ الريف (ص. ٢٣)، وأصدر أوامره للقبائل الواقعة بين سبتة والعرائش بالتعامل مع الفرنسيين معاملة الصديق لا العدو، من المواقف كذلك تقديم المخزن للجيش الفرنسي في الجزائر مجموعة من المؤن (حبوب، ثيران) رغم تسجيل الباحث تأخير وصولها للقوات الفرنسية.

والموقف الثاني للمخزن تكون بعد الحملة الفرنسية على الجزائر؛ لقد أدى احتلال الجزائر في ٣١ يوليوز ١٨٣٠مإلى تشتت موقف السلطان ومخزنه اتجاه الحدث، بين مؤيد ومعارض، فقد ظهر للمغاربة أن سقوط القوة التركية سيسمح لهم بامتلاك الأراضي التي كانوا ينازعون الأتراك عليها منذ ثلاثة قرون (ص. ٣٠) كما اعتبر بعض أعضاء المخزن الاحتلال مصيبة عظمى، وحمل المخزن مسؤولية سقوط البلاد لداي الجزائر. لقد استنتج إبراهيم ياسين من خلال وثائق فرنسية خاصة، أن السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام لم يغير منه سقوط الجزائر تحت أقدام الفرنسيين شيئا، هنا يظهر الموقف المزدوج، بمعنى أن سقوط الجزائر في يد فرنسا تقبله المغاربة بقليل من الانشغال، وهذا ناتج من الصراع الطويل الذي عاشته الإيالة الشريفة في جزئها الشرقي مع الجارة التركية، وفي نفس الوقت بدأ الحذر هو المسيطر في حدث سقوط الجزائر بالنسبة للمخزن (ص. ٣٠).

إنجلترا وباقي الدول الأوروبية: القوة الإنجليزية كان موقفها مترددًا، فهي لم تظهر أية معارضة لمغامرة فرنسا في الجزائر (ص. ٣٢) بل الموقف الإنجليزي فيه نوع من التعاطف الكبير مع فرنسا، فقد حاولت إنجلترا التغاضي عن أي مواجهة متوقعة بينهما، لكون فرنسا خرجت من مغامرة نابوليون بونابرت في أوربا ومصر، وكذلك كونها شهدت تحولات سياسية خلال هذه الفترة، (ثورة يوليوز ١٨٣٠مالتي أطاحت ب شارل العاشر ونصبت ابن عمه لويس فليب الأول دوق أورليان). أما باقي الدول الأوربية خاصة هولندا والدويلات الإيطالية فقد انساقت وراء الموقف الإنجليزي، وباركت خطوة احتلال الجزائر، متعللة في موقفها بكون الجزائر تحتضن عش القرصنة.

في فرنسا: الموقف الفرنسي تأرجح بين الاحتفاظ بالجزائر أو إعادتها إلى الإمبراطورية العثمانية، أو تقسيم الساحل الجزائري بين القوى الأوربية، أو الاحتفاظ بالداي مقابل إتاوة سنوية لفرنسا، وبعد سقوط شارل العاشر كان الرأي هو مغادرة الجزائر لكي لا تغضب إنجلترا ودول أوربية حليفة لها، لكن بعد ظهور مشاكل جديدة في أوربا باركت انجلترا المغامرة الفرنسية في الجزائر التي قررت الاحتفاظ بها بناء على تقارير وآراء قادة الحملة في الجزائر، الذين أصروا على إبقاء السلطة الفرنسية داخل الجزائر (ص. ٣٤).

في الدولة العثمانية وفي تونس: الموقف العثماني موقف صادم كون الإمبراطورية العثمانية فضلت الحياد، واعتقدت أن السلطة الجزائرية باستطاعتها أن تواجه العدوان الفرنسي، فلم تستطع الدولة العثمانية النهوض والسير أميالا لردع الفرنسيين بطريقة مباشرة، رجل أوربا المريض كما أطلقه عليها القيصر الروسي نيكولا الأول، شاهد جزءا من أطرافه يؤكل، فكان موقفه معتمدا على الاتكالية وعلى الحسابات السياسية لإضفاء الحياد على قبضة الجزائر (ص. ٣٢). لقد حرك الباب العالي الألة الدبلوماسية لمحاولة إجاد حل سياسي كون السلطة العثمانية منشغلة بالفتن والثورات التي اشتعلت في الأطراف القريبة من مركز الحكم "اليونان ومصر"(ص. ٣٣)، أما في **تونس** فكان الموقف غريب شيئا ما، وهذا الموقف ناتج عن العداء القائم بين سلطة الباي التونسي ونظيره الجزائري منذ سنين، لقد قدم الباي التونسي تسهيلات للحملة الفرنسية عبارة عن تموينات للعساكر التي تهاجم الجزائر، وامتنعت السلطة التونسية في المقابل تقديم أي مساعدات للداي الجزائري ، بل أكثر من ذلك منعت السلطة التونسية المبعوث العثماني القادم من الباب العالي من المرور عبر التراب التونسي، بل أن الباي التونسي بعث إلى قائد الحملة الفرنسية في الجزائر تهانئه بالنصر (ص. ٣٣).

في الجزائر: لم يحدث الاحتلال الفرنسي في البلد، أي رد فعل لا خوفا، ولا قلقا من السلطة الفرنسية (ص. ٣٥)، بل كانت سهام النقد موجهة إلى صفوف ممثلي السلطة التركية في البلاد، لكن أيام قليلة بعد استسلام الداي الحسين للفرنسيين، بدأت ثورة القبائل في كل مكان، أما في وهران، أي البايلك المجاور للمغرب فقد استقبل الغزو الفرنسي بالرفض ومواجهة الفرنسيين بالمدينة إلى غاية خروجهم منها، خاصة مع وصول خبر الانقلاب السياسي الذي حدث في فرنسا أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، واستبدال الفراغ السياسي الذي خلفه اعتقال الداي وبالتالي بدأ التفكير في السلطة المغربية.

في الفصل الثاني المعنون ب**تعيين ابن عم سلطان المغرب خليفة له بتلمسان**، يبدأ إبراهيم ياسين هذا الفصل بقضية مبايعة نواحي بايلك[٥]، وهران لسلطان المغرب، دون الوقوف على القضايا والإشكاليات التي يثيرها مفهوم البيعة من الزاوية القانونية والفقهية، لقد أفرز تقديم أهل تلمسان[٦] البيعة لسلطان المغرب المولى عبد الرحمان ابن هشام بلبلة في أوساط فقهاء المخزن بين مؤيد للبيعة و معارض لها، انتصر التيار المؤيد للبيعة بزعامة الشيخ التسولي[٧]، واستقر رأي السلطان على قبول البيعة (ص. ٤)، وأرسل ابن عمه علي ابن سليمان وعمره لا يتعدى خمسة عشر سنة، وملازمة عامل وجدة له في كل صغيرة وكبيرة، كما أرسل السلطان معه العربي الوزاني شيخ الزاوية الوزانية (ص. ٤٩). وقد كان استقبال الوفد المغربي من طرف سكان تلمسان وأتموا له البيعة، لتبدأ الإمدادات العسكرية إلى تلمسان في محاولة لإخضاع من كان يعارض السلطة المغربية الجديدة في المدينة، كما تجددت معارضة بيلك وهران للتواجد المغربي في المدينة، حيث تعلل باعتباره مازال تابعا لحكم الباب العالي. وقد استمر الباي في معارضته للسلطة المغربية إلى غاية دخول الفرنسيين لها؛ رغم المساندة المحلية المتمثلة في قبيلتي الدوايز والزمالة[٨] (ص. ٥١) لم يتمكن المخزن من كسب ود القبيلتين لكون النظام الانقسامي التي تتشكل منه صعب على المخزن احتواءهما، وبالتالي فشل المخزن في هذه السياسة.

أمام هذه الأحداث، نزل الجيش الفرنسي بوهران سنة ١٨٣١م محاولاً تهديد الوجود المغربي بتلمسان، ومستغانم وغيرها، باستخدام القوة العسكرية، وأرسلت فرنسا العديد من البعثات الدبلوماسية إلى المغرب كان أبرزها بعثة أوفري إلى طنجة التي حملت رسالة إلى السلطان فيها تهديد مباشر لإرغامه على التخلي عن فكرة التواجد بالجزائر.

اضطرت هذه التطورات الصادرة من فرنسا المخزن إلى سحب رجاله من تلمسان، وربما فهم نوع القوة التي يتنافس معها، وشرع في اتخاذ احتياطات وقائية داخل المغرب، خاصة بعد ظهور العديد من السفن الحربية الفرنسية قبالة سواحل تطوان، والتي قوبلت من طرف المخزن بإرسال توصيات لعماله بضرورة مراقبة البحر. وفي ٨ مارس١٨٣١م أمر السلطان خليفته بتلمسان بجمع جيوشه والعودة إلى فاس، فسر إبراهيم ياسين هذا الانسحاب، والإخفاق بتجاوزات الجيش المرافق لخليفة السلطان ومحاولاته المتكررة الاستلاء على غنائم السكان المحليين (ص. ٩٥).

في الفصل الثالث المعنون **بـ ممثل جديد لسلطان المغرب بغرب الجزائر: ولاية محمد بن العامري.** يبدأ إبراهيم ياسين هذا الفصل بوصف حالة بيلك وهران بعد انسحاب القوات المغربية من المدينة و تعيين الجنرال بوايي (BOYER) قائدًا على وهران في شتنبر ١٨٣١م، حيث فهم الفرنسيون لغة القبائل من زاوية علمية واستمالوا قبيلتي الدوايز والزمالة، ونسق هذا الجنرال بينه وبين ممثل فرنسا بطنجة للضغط على سلطان المغرب من أجل اطلاق سراح زعيمي القبيلتين في فاس، لكن المخزن رفض الطلب لرغبته في إعادة المغامرة غرب الجزائر بعد فشل الأولى (ص. ١٠٣).

لقد ضلت الدبلوماسية الفرنسية بالجزائر تحذر السلطات الفرنسية من قيام السلطان المغربي بتهيئة حملة عسكرية ثانية موجهة لشرق الجزائر وخاصة لمدينة تلمسان، رغم تسجيل الباحث تفاجؤ الفرنسيين من المواقف المغربية اتجاه الجزائر، تأخر إرسال ممثل جديد للسلطان إلى الغرب الجزائري، بسبب تمرد قام به جيش الوداية بفاس، رغم عدم تفصيل الباحث في هذا الحدث، المهم تم إخماد هذا التمرد من طرف المخزن بمساعدة العديد من القبائل الموالية له مثل الشراكة واولاد جامع وبني حسن (ص. ١٠٥)، لعل من بين الأسباب التي أملت على سلطان المغرب إعادة إرسال حملة عسكرية ثانية إلى الجزائر، هي وجود العديد من ممثلي القبائل الجزائرية وكذا الطرق الدينية بفاس، الذين طالبوا السلطان المغربي بضرورة الدخول إلى الغرب الجزائري وعدم الوقوع في الأخطاء السابقة؛ من الدوافع المقدمة كذلك لإقناع السلطان لإعادة الكرة في الجزائر هي انهزام الفرنسيين أمام الجزائريين في مدينة المدية في أوائل شهر يوليوز (ص. ١٠٦). لقد اقتنع السلطان بضرورة إعادة إرسال وتجهيز حملة أخرى إلى الجزائر، كون إعادة المغامرة المغربية في الجزائر تحكمت فيها جملة من الأسباب التي خلص إليها إبراهيم ياسين: جهود أنصار السلطان وأنصار المرابط محي الدين بتلمسان، وسكان الغرب الجزائري، وجهود قبائل الدوايز والزمالة، إضافة إلى الصعوبات التي واجهها الفرنسيون في إخضاع الجزائر.

بعد انقضاء ستة أشهر وثمانية أيام من خروج خليفة السلطان علي ابن سليمان[٩]بأمر من السلطان عبد الرحمان ابن هشام[١٠]، بادر الأخير لتعيين خليفة آخر اشتهر بقوته وجديته هو محمد بن العامري (ص.١٠٧)، لقد سكتت المصادر الفرنسية سكوت غريب عن حدث دخول عامل السلطان الى الجزائر، بل حاولت بعض المصادر اعتبار حدث دخول ابن العامري، كحدث عابر لم يكن له أي تأثير، بل اعتبرته مجرد محاولة فاشلة للسيطرة على وهران ومستغانم عبر اتخاذه معسكر مقرا للسلطته، دخل بن العامري تلمسان وقرأ رسالة سلطانه على سكانها، التي دعاهم فيها على ضرورة التآزر فيما بينهم، وضرورة توحيد السكان حول ممثل السلطان المغربي، ونبذ الخلافات وتحقيق المصالحة بين مختلف فئات السكان لمواجهة الخطر الفرنسي؛ لم يحاول السلطان المغربي إرسال جيش إضافي كما أرسله في السابق مع الممثل الأول علي ابن سليمان، بل أراد السلطان هذه المرة من الجزائريين أن يتحملون القسط الأوفر من أعباء الدفاع عن بلادهم. بعد دخول ابن العامري الجزائر سارع إلى مهاجمة الفرنسيين بوهران، عبر حصار المدينة من نهاية شهر غشت إلى نونبر ١٨٣١م، وكتب إلى أهل مستغانم[١١]، ومزغران[١٢] فأجابوه بالدخول في طاعة السلطان المغربي، الشيء الذي جعله يسارع إلى مهاجمة الفرنسيين في وهران بعدما تكونت له عدة عسكرية من جيوش القبائل التي قدمت له الطاعة، والجيش الذي وفد معه من المغرب؛ بدأت هجمات ابن العامري على مدينة وهران من ٨ أكتوبر ١٨٣١م، إلى يوم ١٧ أكتوبر ١٨٣١م بدون انقطاع، لكن هذه الهجمات لم تحقق انتصارات باهرة، رغم أن الحصار الذي ضرب على المدينة كان ناجحًا. لقد وقفت الحملة على وهران واتجه ابن العامري نحو مستغانم لمحاولة إخماد ثورة

قام بها السكان ردا على هجمات لعناصر محسوبة على ابن العامري (ص. ١٢٠).

في أواخر شهر أكتوبر ١٨٣١م، انتقل ابن العامري إلى معسكر التي اتخذها عاصمة لسلطته، وضمن ولاء المناطق المجاورة عبر جباية الضرائب والأعشار، واستقبل الوفود الكثيرة القادمة من مختلف المناطق المحيطة بمعسكر حاملة طاعتها للسلطان المغربي، بل أصبح حسب تقارير فرنسية اعتمد عليها الباحث (ص. ١٢٣-١٢٤) أن ابن العامري حقق نجاح نسبي في معسكر بل تعداه في تغلغل نسبي في بايلك التيطري.

أمام هذه الأحداث التي حققها ابن العامري في الغرب الجزائري، استبدلت فرنسا لغة الدبلوماسية الناعمة بدبلوماسية مسلحة صريحة، تجلى ذلك سنة ١٨٣١م، في بعث سفير من قبل ملك فرنسا إلى المغرب مدعوما بقطع حربية لتهديد مدينة طنجة، وتلى ذلك كل من تحركات نائب القنصل الفرنسي في طنجة دي لابورط (Jacques-Denis Delaporte) لدى السلطان والاحتجاج عليه. لقد بدأت تظهر النوايا الصريحة للمغامرة الفرنسية في الجزائر، عبر تقسيم البلد إلى مناطق مدنية وأخرى عسكرية، تمهيدا للشروع في استغلالها، كما قامت فرنسا بعد أن تبين وجود أطماع سلطان المغرب في الجزائر، تدعيم خط القوات الموضوعة تحت القيادة العسكرية في مدينة وهران، وبعدها انتقلت الدبلوماسية الفرنسية إلى مخاطبة السلطان المغربي مباشرة عبر إرسال سفارة الكونت دي مورني (Comte Charles De Mornay) في بداية يناير ١٨٣٢م،من لوي فيليب إلى سلطان المغرب، مهمتها اجبار السلطان عن عدم التدخل في شؤون بايلك وهران بما في ذلك تلمسان ومعسكر (ص. ١٣٥). لقد بدأت بعض أعضاء المخزن تضغط على السلطان المغربي بالقبول بعرض السفارة خاصة وأن عمال الأقاليم الشمالية أبلغوا السلطان بكون السفن الحربية الفرنسية اقتربت من ميناء طنجة؛ التقى السفير المذكور وبالسلطان وممثلي المخزن في مكناس يوم ٢٢ مارس ١٨٣٢، وهو اللقاء الذي دونه الرسام الفرنسي دولاكروا (Delacroix Eugène) في لوحة شهيرة[١٣]، لقد خلص اللقاء أن السلطان المغربي يلتزم بعدم التدخل أبدا بين المنازعات التي تحدث، أو يمكن أن تحدث مستقبلاً بين الفرنسيين والجزائريين، واعترف أن الجزائر الآن تابعة لفرنسا، واقتنع خلالها السلطان المغربي بسحب ابن العامري من غرب الجزائر، وهو الأمر الذي تم بالفعل بعد شهور من السفارة.

قضايا الكتاب ومقولاته النقدية

تثير هذه القراءة مجموعة من القضايا نوردها على الشكل الملاحظات التالي:

الملاحظة الأولى، مسألة المصادر: إن توسيع دراسة العلاقات الثنائية إلى دول "الجنوب" منذ الاستقلال سيتحقق بالكامل عندما تتوافر أرشيفات هذه الأخيرة. وبعد ذلك، ستؤدي الدراسات الاستقصائية متعددة الأطراف، التي تشمل أكثر من دولتين أو تشكيلات اجتماعية إلى مواجهة المصادر الوثائقية في العديد من البلدان، ودراسة إبراهيم ياسين لم تتخذ الموضوعية والموازنة الأرشيفية، كونها اشتغلت على زاويتين أرشيفيتين، زاوية المغرب وزاوية الدول الأوربية (خاصة فرنسا) مع تغييب زاوية الوثائق للدولة الجزائرية.

الملاحظ الثانية: لماذا تنازل إبراهيم ياسين عن العنوان الأصلي لرسالته المعنونة بـ **موقف الدولة المغرب من احتلال فرنسا للجزائر ما بين ١٨٣٠-١٨٤٧**[١٤]، وتعويضه بـ **سلطة مغربية في غرب جزائر ١٨٣٠- ١٨٣٢؟**

الملاحظة الثالثة: وهي المرتبطة بعنوان الكتاب، **سلطة مغربية في غرب الجزائر**، ألم يقل أحمد توفيق في خلاصاته حول السلطة المخزنية" أن المخزن كان يتسم بسمة الدولة التجزيئية التقليدية أي بتناقض نفوذ الدولة كلما ابتعدنا عن المركز، وهي سمة لم تكن خاصة به بل كانت تنطبق على كل الدول ما قبل الرأسمالية. وقد سبق أن نص على ذلك ابن خلدون في الفصل الثالث من **المقدمة** حيث قال بأن كل دولة لها حصة من المماليك والأوطان لا تزيد عنها، وبأن الدولة في مركزها أشد مما تكون في الطرف والنطاق..."[١٥]، وبالتالي فإن استعمال مصطلح "سلطة مغربية' على هذا الجزء البعيد عن الإيالة الشريفة فيه مغامرة تاريخية.

الملاحظة الرابعة: كتاب إبراهيم ياسين خاصة في الفصلين الثاني والثالث، يبين أن مخزن المولى عبد الرحمان بن هشام يقارع فرنسا في الجزائر بدون مركب نقص، في حين أن المخزن كان يعيش أزمة في البنيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لحقته منذ قرون، كما عاش أزمة وعي بالذات مما جعله يحس بالعجز عند مواجهة الأوربيين، هذه الأزمة يمكن التقاطها عند عبد المجيد القدوري في **سفراء مغاربة في أوربا**[١٦]، وعند محمد المنصور في **المغرب قبل الاستعمار**[١٧]، وفي **تاريخ المغرب تركيب وتحيين**[١٨]، وهذا العجز في البنيات سيتأكد عشية إسلي.

الملاحظة الخامسة: العلاقة بين المغرب والجزائر كما قدمها التاريخ المغربي معقدة إذ يمكن وصف الجزائر بأنه نموذج لفترات معينة من تاريخ البلد (المرابطين، الموحدين وفترة من المرينيين)، واستكشاف الزاوية الدولية يعني التركيز على الاتصالات والتفاعلات مع العالم الخارجي بشكل أساس، وليس بشكل عرضي أو غير مباشر. فالمتخصص في البعد الدولي يقع عند التقاطعات وعلى مفترق الطرق بين الداخل والخارج والتركيز الدائم للمؤلف إبراهيم ياسين على الاتصالات الخارجية، وأماكن التفاعل مع الخارج والتأثيرات المتبادلة بين الداخل والخارج جعل تاريخ المغرب في علاقته بالجزائر مختزلاً في حلقات صراع تتسم بالرغبة في الهيمنة من جانب (المغرب) ومحاولات المقاومة من الجهة الأخرى.

الملاحظة السادسة: كتاب إبراهيم ياسين يدخل ضمن المشروع الإسطوغرافي الذي سطرته المدرسة التاريخية المغربية، وينتمي إلى اتجاه التاريخ العلائقي الذي يهدف إلى بناء الهوية الوطنية من جهة، والبحث عن التوافق والمصالحة بين المغرب والأمم الأخرى من جهة أخرى.

يضطلع التاريخ بدور مهم في بناء لعبة المصالحة والتوافق بين الدول، و ليس الأمر بغريب لكونه اقتباسا فرنسيا، مع مدرسة الحوليات، فقد هدفت أعمال مارك بلوك (Marc Bloch) خاصة في المجتمع الفيودالي[١٩]، ولوسيان فيفر(Lucien Febvre) في مارتن لوتر(Martin Luther)[٢٠]، ايجاد توافق فرنسي ألماني[٢١]، أي محاولة تأسيس لأوروبا ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبالتالي فأعمال هؤلاء المؤرخين تسير في هذا الجانب، وفي اعتقادنا أن إبراهيم ياسين فشل من خلال رسالته التاريخية في إحداث مصالحة وصناعة توافق مغربي جزائري، هذا الفشل والإخفاق سبق وأعلن عنه عبد الله العروي في ضميمة مذيلة لكتاب **مجمل تاريخ المغرب**، الذي هدف منه صاحبه لم شمل المغارب من زاوية المقاربة التاريخية[٢٢] ليتجه إبراهيم ياسين إلى الاتجاه المونوغرافي محدثا مصالحة مع منطقة نشأته أيت وأوزگيت[٢٣] حين أنجز أطروحة الدولة في هذا الباب.

خَاتِمَةٌ

ختامًا، الكتاب موضوع القراءة سريع الإيقاع، مثقل بالجدية والمعلومات التي يجري وراءها الباحث في شؤون الماضي محاولاً التقاط ما يفلت منه من أحداث، فهو يغطي فترة زمنية دقيقة، ويشكل عرضًا شاملاً ودقيقًا للأحداث بناء على مقاربة أرشيفية صرفه ذات نزعة وضعية بعيدة عن كل التأويلات التاريخية الممكنة.

الاحالات المرجعية:

(1) Robert Frank, « Histoire des relations internationales », in Christian Delacroix, François Dosse et Patrick Garcia, Historiographies : concepts et débats, 2 Tomes, Gallimard, « Folio-histoire », Paris, 2010, pp. 235-237.

(٢) عبد الرحيم بنحادة "في إنتاج المعرفة التاريخية في المغرب"، ضمن وجيه كوثراني (تنسيق)، **التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت،٢٠١٧، ص. ٤٣٤.

(3) **Jean-Louis Miege, Le Maroc et l'Europe : 1830-1894, 4** Tomes**, Presses Universitaires de France, Paris, 1961-1963.**

(٤) عبد الأحد السبتي، "**كاد المغرب أن يكون مستعمرة بريطانية**"، رباط الكتب، 9 يناير ٢٠١٢.

(٥) **بايلك أو بيلك** يقصد بها مقاطعة يحكمها باي أو حكومة منطقة، ففي الفترة التي نتحدث عنها كانت هناك ثلاث بايلكات في الجزائر، بايلك الغرب (وهران)، بايلك التيطري، وبايلك الشرق (قسنطينة).

(٦) البيعة التي بعثها سكان تلمسان إلى السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام، نتيجة الاحتلال الفرنسي للبلد، والتي قبلها السلطان بعدما افتوه فقهاء فاس، انظر، عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، ص. ٥٥٨.

(٧) علي بن عبد السلام التسولي (ت.١٨٤٢م)، تقلد منصب قاضي الجماعة بفاس في عهد السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام، ذاع صيته كفقيه بفضل فتواه التي أجاز فيها للسلطان قبول بيعة أهل الجزائر وهي المنشورة في كتابه، **أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد**، دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، دار الغرب الإسلامي، 1996.

(٨) اتحاديات وكونفديراليات قبلية استوطنت مناطق وهران خلال الفترة العثمانية وقبلها، ولها خصوصيات عرقية وحضارية وثقافية واجتماعية. انظر، إبراهيم مهديد، "الأرستقراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن ١٩م والرأسمالية الاستعمارية: إشكالية الاندماج الاجتماعي"، **إنسانيات**، وهران، ١٩٩٨، ص. ٧٨.

(٩) ابن السلطان المولى سليمان بن محمد الذي تولى الحكم قبل مولاي عبد الرحمان ابن هشام.

(١٠) السلطان المغربي حكم في الفترة الممتدة من 1822 إلى 1859في عهده شهد المغرب موقعة إسلي.

(١١) مدينة تقع في شرق الجزائر تابعة في هذه الفترة لبايلك وهران.

(١٢) مدينة تنتمي لبايلك وهران وتطل على البحر الأبيض المتوسط.

(١٣) حول هذا الحدث، انظر سمير بوزويتة، **مكر الصورة: المغرب في الكتابات الفرنسية١٨٣٢-١٩١٢**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٧.

(١٤) عمر أفا، **دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المناقشة بكليات الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ١٩٦٤-٢٠٠٧**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة دراسات بيبليوغرافية رقم ٩، ٢٠٠٨، ص. ١٥١.

(١٥) أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن ١٩: اينولتان ١٨٥٠-١٩١٢**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رسائل وأطروحات رقم ٦٣، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ٢٠١١، ص. ٤٧١-٤٧٢.

(١٦) عبد المجيد قدوري، **سفراء مغاربة في أوروبا ١٦١٠-١٩٢٢: في الوعي بالتفاوت**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم ١٢، ١٩٩٥.؛ **- المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر: مسألة التجاوز**، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

(١٧) محمد المنصور، **المغرب قبل الاستعمار: المجتمع والدولة والدين**، تعريب محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء،٢٠٠٦.

(١٨) محمد القبلي (تنسيق)، **تاريخ المغرب: تحيين وتركيب**، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، ٢٠١٣.

(19) Marc Bloch, **La société féodale, la formation des liens de dépendance**, Albin Michel, Paris, 1939.

(20) Lucien Febvre, **Martin Luther: Un destin, Presses Universitaires de France**, Paris, 1927.

(٢١) فرانسوا دوس، **التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد**، تعريب محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩، ص. ١٣١.

(٢٢) قال عبد الله العروي في هذا الصدد:" ختمت الكتاب سنة ١٩٧٠ بهذه الفقرة: (آن للمغربي أن يصالح نفسه، وأهم من ذلك، أن يهادن أخاه). لم تمر خمس سنوات حتى أشرفت المنطقة على حرب مدمرة بسبب ما سمي (بقضية الصحراء الغربية)". العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، مرجع مذكور، ص. ٦٤٣.

(٢٣) إبراهيم ياسين، **جنوب أطلس مراكش تحت حكم الفرنسيين والقادة الگلاويين: آثار الاحتلال الفرنسي لبلاد أيت وأوزگيت**، دار ابي رقراق، الرباط، 2003.